



الأحد 21 أبريل 2013 12:04 م

ماهر إبراهيم جعوان

لما أذن الله تعالى لبني إسرائيل بالتحرر من الظلم والفساد والاضطهاد والعبودية والتبعية ليسيروا بطريق الحرية والعزة والكرامة وبناء الأوطان فكانت بداية الطريق الرباني بهلاك النظام المصري فهلك فرعون ومن معه من الآثمين بعدما تملكوا البلاد والعباد عهودا طويلة وأزمنة مديدة تنادوا خلالها بالفساد والإفساد وما تأله فرعون وأموال قارون وجواهر توت عنخ آمون التي سلبوها من البلاد إلا مظاهر لهذا الإفساد(وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ) فكان الله لهم بالمرصاد(فَلَمَّا أَبْصَرْنَا أَنَّهَا مِثْلُهَا فَأَعْرَفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ فَجَعَلْنَاهُمْ سِلَاقًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ)وسقط النظام برأسه وذيله وكل أركانه قادة وجنودا .

(وَأَنزَلْنَا فِي قُلُوبِهِمْ وَهَاقِمَانَ وَجُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَخْذَرُونَ) فرأوا بأعينهم آيات الله تنزل عليهم ولمسوها بأيديهم وأرجلهم ومروا من بين فلق البحر(أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ وَأَزَلُّنَا نَمُومَ الْآخِرِينَ وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ) فكان أحري بهم أن يشكروا الله علي هذه الآيات بالعمل والإنتاج والأخذ بأسباب النهوض والتقدم وتكوين الأمم وتربية الشعوب وتحقيق الآمال ومناصرة المبادئ لبناء الحضارة وإقامة الدولة ولكنهم فرطوا في الانجاز والفضل الرباني .

فامتنعوا عن تنفيذ الأمر الرباني وتخلوا عن زمام المبادرة ونكصوا علي أعقابهم (ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَ دَخَلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (إِنَّا لَنَ دَخَلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا)

وبرروا كثيرا سبب رفضهم وضعف موقفهم والحقيقة أنهم ليس لديهم استعداد للعمل والبناء والتضحية والفداء فليس لديهم استعداد لدفع ضريبة العيش الكريم والحرية والعدالة الاجتماعية رغم أنهم موعودون بالنصر والغلبة (ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْيَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَاسْلُكُوا عَلَيْهِمُ الْيَابَ) وَعَلَى اللَّهِ مَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) ومع ذلك تابطنوا وطلبوا أن يفعل نبيهم ورسولهم كل شئ دون أدني جهد منهم (فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِذُونَ) اذهب أنت وربك أي افعَل أنت وربك فكمَا هلك النظام بدون تدخل منهم يريدون بناء الأوطان دون جهد كذلك ، ينظرون لحقوقهم دون واجباتهم هذا الجيل يطلب أي شئ يفعلُه وينجزه ويخلصه ويرتبه وينهيه النبي والرئيس والمسئول لا يريدون أن يؤدوا ما عليهم وتنكروا الطريق وجحدوا فضل الله عليهم (قَالُوا أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَن تَأْتِيَنَا وَمَنْ بَعْدُ قَا جِئْنَا) فلا فارق عندهم بين قبل النبوة وبعدها ولا قبل الرئاسة وبعدها ولا قبل الثورة وبعدها .

فكان ابتلائهم بالتيه في الأرض (فَالِئْهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْزِيعِينَ بَئِئِنَّهُ يَتَّبِعُونَ فِي الْأَرْضِ) حتى تتبدل صفات الضعف والخور والجبن والتفريط في الحقوق والواجبات ومجارات السفهاء ، ثم ينشأ جيل جديد رباني يؤدي التكالييف المطلوبة لبناء الأوطان لتعمير الحياة ويتحمل المسؤولية ويؤدي الأمانة ويرى فضل الله عليه فتتوفر لديه إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف وفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولا غدر تضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل .

معرفة بالمبدأ والإيمان به وتقدير له يعصم من الخطأ فيه والانحراف عنه والمساومة عليه والخديعة بغيره على هذه الأركان الأولية وعلى هذه القوة الروحية الهائلة تبنى المبادئ وتربى الأمم الناهضة وتتكون الشعوب الفتية وتتجدد الحياة فيمن حرموا الحياة زمنا طويلا فهلا نعي درس التيه في الأرض

(عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَهْلِكَ عِذْوُكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ).